الفصل الثالث
المنهج التاريخى

مقدمة

مفهوم المنهج التاريخى

أهداف البحث التاريخى

أهمية الأسلوب التاريخى فى البحث وتطبيقاته.

أهمية البحث التاريخى فى المجالات التربوية.

متى يطبق المنهج التاريخى؟

مجالات البحوث التاريخية.

خطوات المنهج التاريخى

بعض الأخطاء العامة التى يقع فيها الباحثون فى البحث التاريخى.

تقويم المنهج التاريخى.

مميزات وعيوب المنهج التاريخى.

المنهج التاريخى
Historical Research

مقدمة:

يهتم المنهج التاريخى بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار، ويستخدم فى دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التى مضى عليها زمن قصير أو طويل. بمعنى أن هذا الأسلوب فى البحث يرتبط بدراسة الماضى وأحداثه. وبذلك، فإنه لا يمكن ضبط المتغيرات كما هو الحال فى البحوث التجريبية مثلًا.

ويعرف البحث التاريخى Historical Research على أنه تحرى عن صحة البيانات المتوفرة لحادثة أو عملية أو ظاهرة إنسانية أو تربوية أو اجتماعية أو طبيعية تمت فى الماضى بواسطة القراءة والتأمل والتحليل والنقد.

ولا بد من الإشارة إلى الصلة الوثيقة التى تربط بين التاريخ كعلم وكميدان من ميادين البحث العلمى وبين المنهج التاريخى باعتبار أنه لا وجود لعلم التاريخ إلا بوجود المنهج العلمى الذى يتبعه ويطبقه فى جمع حقائقه وفى فحصها ونقدها وتحليلها وتفسيرها. أما التاريخ فهو السجل المكتوب للماضى أو للأحداث الماضية.

مفهوم المنهج التاريخى:

يعتبر التاريخ نظامًا لتصنيف وتنظيم الدلائل والآثار المسجلة للأحداث الماضية. ويكون هذا النظام عادة مصحوبًا بتفسير هذه الأحداث وعلاقتها بالظروف الحاضرة. وعلى فرض أن البيانات الواقعية للتاريخ يمكن تدوينها بطريقة تضمن صدقها، فإن البحث التاريخى يعتبر بحثًا علميًّا. وقد تكون النتائج التى نتوصل إليها من البحث التاريخى صادقة، إلى حد يماثل صدق النتائج التى نتوصل إليها من أنواع البحوث الأخرى.

ويعتبر المنهج التاريخى من أكثر مناهج البحث تطبيقًا فى أوساط الباحثين، ولكنه بالمقابل يكاد يكون أقلها وضوحًا فى مفهومه لديهم، بدليل عدم الدقة فى تطبيقه فهناك عدد كبير من الباحثين يطبقون المنهج التاريخى على أنه عبارة عن جمع المعلومات المرتبطة بموضوع البحث من مصادرها المختلفة، وترتيبها وإخراجها إخراجًا جديدًا يتلاءم مع عنوان البحث.

والمنهج التاريخى هو ما يمكن به إجابة سؤال عن الماضى بواسطة مجهود علمى كبير يبذله الباحث متمثلًا فى محاولته لاستنتاج العلاقة بين الأحداث والربط بينهما مستندًا فى ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه.

وهذا ما جعل كثير من علماء المنهجية مثل "بورق" و"قول" (١٩٧٩) و"إيزك" و"مايكل" (١٩٨١) يعرفون المنهج التاريخى بأنه عبارة عن إعادة للماضى بواسطة جمع الأدلة وتقويمها ومن ثم تمحيصها وأخيرًا تأليفها ليتم عرض الحقائق أولًا عرضًا صحيحًا فى مدلولاتها وفى تأليفها وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة.

وفى ضوء ذلك يمكننا تحديد مفهوم المنهج التاريخى باعتباره: أداة علم التاريخ فى تحقيق ذاته بمعنى الوصول إلى التعميمات والقوانين التى تفيد فى التنبؤ بالنسبة للمستقبل. فالمنهج التاريخى هو الطريق الذى يتبعه الباحث فى جمع معلومات عن الأحداث والحقائق الماضية، وفى فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها، وفى عرضها وترتيبها وتنظيمها وتفسيرها واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها والتى لا تقف على فهم أحداث الماضى بل تتعداه إلى المساعدة فى تفسير الأحداث والمشكلات الجارية وفى توجيه التخطيط بالنسبة للمستقبل. والمنهج التاريخى يقوم على الفحص الدقيق للبيانات والنقد الموضوعى لمصادرها المختلفة.

أمثلة للبحوث التاريخية:

ـ دراسة تاريخية لمعرفة الشروط العلمية التى يشترطها المربون الأوائل لمنهج

إجازة التدريس التى كان المدرس لا يحق له مزاولة التدريس فى المسجد إلا بعد حصوله عليها.

ـ دراسة تاريخية لنظام التعليم ومناهجه فى فترة تاريخية معينة بغرض معرفة مدى التركيز على الأصالة ورفض التبعية.

ـ دراسة تاريخية لبعض رجالات التعليم، وما قاموا به من جهد لنشر التعليم فى الوقت الذى لم ينتشر التعليم الرسمى فيه.

أهداف البحث التاريخى:

تتلخص أهداف البحث التاريخى فى النقاط التالية:

١ ـ الكشف عن المعرفة، وتوضيح المعرفة القائمة وتعميقها وزيادتها.

٢ ـ دراسة الحوادث الماضية وفهمها وشرحها وتفسيرها.

٣ ـ تمحيص الأدلة وتقويمها حتى يمكن الوصول إلى نتائج دقيقة.

٤ ـ الوصول إلى الاستنتاجات المتعلقة بأسباب الأحداث الماضية واتجاهاتها.

٥ ـ التنبؤ بالأحداث المقبلة فى ضوء تقويم الأحداث الماضية وأثرها فى الأحداث الحاضرة.

أهمية الأسلوب التاريخى فى البحث وتطبيقاته:

تتضح أهمية البحث التاريخى فى أنه يساعد الباحث على الآتى:

ـ الكشف عن الأصول الحقيقية للنظريات والمبادئ العلمية وظروف نشأة هذه النظريات بهدف البحث عن الروابط بين الظواهر الحالية والظواهر الماضية ورد الظواهر الحالية إلى أصولها التاريخية.

ـ الكشف عن المشكلات التى واجهها الإنسان فى الماضى وأساليبه فى التغلب عليها والعوائق التى حالت دون إيجاد الحلول لها.

ـ تحديد العلاقة بين الظواهر والمشكلات، وبين البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى أدت إلى نشوئها.

ولا بد عند استخدام الأسلوب التاريخى فى البحث من مراعاة أمور ثلاثة هى:

ـ أن المادة التاريخية التى ترتبط بالماضى تحتاج إلى عملية نقد وتحليل دقيقين، فالمادة التاريخية موضوع الدراسة ليست حاضرة ولا يمكن ملاحظتها أو تجريبها، بل موجودة فى السجلات والآثار.

ـ أن المادة التاريخية ليست هدف البحث العلمى، لكنها وسيلة إثبات الفروض والوصول إلى النتائج.

ـ الحوادث التاريخية لا ترتبط بسبب معين بل بمجموعة من العوامل المتداخلة والمتفاعلة والتى قد يصعب حصرها وضبطها، ولا بد لذلك أن تتوفر المهارة الفائقة والدقة البالغة فى معالجة الظواهر التاريخية وتفسيرها.

تطبيقات المنهج التاريخى:

يمكن تفصيل تطبيقات المنهج التاريخى تبعًا للغرض من البحث نفسه، ومن الأغراض البحثية التى توجب على الباحث تطبيق المنهج التاريخى فى ما يلى:

١ ـ البحث عن تحديد بداية ظهور ظاهرة معينة.

٢ ـ البحث فى كيفية ظهور هذه الظاهرة.

٣ ـ البحث فى العوامل ذات التأثير فى ظهور الظاهرة التاريخية.

٤ ـ البحث فى مدى صحة ظاهرة تاريخية معينة فى ظل المعطيات التاريخية الصحيحة.

٥ ـ البحث فى ما إذا كان الغرض من البحث هو دراسة العلاقة والارتباط بين حدثين تاريخيين وكل الأغراض المتعلقة بدراسة الماضى.

أهمية البحث التاريخى فى المجالات التربوية:

تكمن أهمية الدراسات القائمة على المنهج التاريخى فى المجالات التربوية فى ما يلى:

١ ـ أنها الأسلوب الأمثل لمعرفة تاريخ التربية.

٢ ـ أنها قد تتناول دراسة أحداث ووقائع معينة تمت فى الماضى وذلك بقصد التوصل إلى نتائج معينة لا تقف عند حد وصف أو تقرير ما تم فى الماضى فحسب.

٣ ـ أنها تزودنا بمعرفة عن الأهداف والمقررات وطرق التدريس.. وغير ذلك من الاتجاهات والسياسات التعليمية التى اتبعت فى الماضى مما يساعد على تطوير الحاضر والمستقبل.

٤ ـ أنها تزودنا بمعرفة تكشف لنا عن جوانب أصيلة فى تراثنا التربوى العربى فى مجال النظرية والتطبيق التربوى والتى ظهرت فى عصور وأماكن معينة، وتسهم مثل هذه الدراسات فى تنمية وتحسين عمليات التربية والتعليم ونواتجها بالنسبة لحاضر أمتنا العربية ومستقبلها.

٥ ـ أنها توفر لنا معرفة تمكن الباحثين من إدراك الصلة الوثيقة بين التربية وبيئتها التربوية والاجتماعية بكل مكوناتها والعوامل المختلفة المؤثرة بها. وإظهار العيوب والأخطاء حتى يمكن أن تكون لنا بمثابة دروس نستفيد منها فى تربية الأجيال التربية التى ننشدها والتى تحقق الخير والتقدم لهم ولمجتمعاتهم.

٦ ـ إلقاء الضوء على اتجاهات تربوية حاضرة ومستقبلية.

٧ ـ إعادة تقييم البيانات بالنسبة لمبادئ تربوية أو تعميمات أو فروض أو نظريات تربوية تشيع فى الوقت الحاضر عن الماضى.

٨ ـ تحديد الاتجاهات الفكرية المتكررة الحدوث، وقياسها بسهولة من وجهة نظر تاريخية.

ويرى مؤيدو البحوث التاريخية أنها لا تقل أهمية عن البحوث الأخرى لعدة أسباب:

١ ـ يمكن من خلالها دراسة الظاهرة التربوية التى يستحيل دراستها بواسطة مناهج البحوث الأخرى.

٢ ـ أنها تخضع لأسلوب علمى فى البحث.

٣ ـ تخضع بيانات البحوث التاريخية للتحليل النقدى وذلك لأصالتها وصدقها ودقتها.

إن عدم التحكم فى متغيرات البحوث التاريخية بصفة مباشرة ليس مقصورًا عليها وحدها بل شائع أيضًا فى معظم بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية.

متى يطبق المنهج التاريخى؟

من المفهوم الصحيح للمنهج التاريخى ـ الذى سبق تفصيله اتضح لنا أن تطبيقه منهجًا للبحث يأتى تبعًا للغرض من البحث ذاته فالمنهج التاريخى يعد المنهج الوحيد الذى يتعين على الباحث تطبيقه عندما يكون الهدف من البحث تحقيقًا واحدًا أو أكثر من الأغراض التالية:

ـ متى بدأ ظهور ظاهرة تاريخية ما؟

ـ كيف بدأ ظهور ظاهرة تاريخية ما؟

ـ ما مراحل تطور ظهور ظاهرة تاريخية ما؟

ـ ما العوامل ذات التأثير فى ظهور ظاهرة تاريخية ما؟

ـ ما مدى صحة ظاهرة تاريخية ما فى ظل المعطيات التاريخية الصحيحة؟

ـ ما مدى العلاقة والارتباط بين حدثين تاريخيين؟

وما شابه هذه الأسئلة ذات الارتباط بالماضى.

- وقد يكون المنهج التاريخى تاريخيًّا بحتًا، وقد يتخلله بعض الجوانب غير التاريخية وتطبق مناهج البحث الأخرى فى الجوانب غير التاريخية.

مجالات البحوث التاريخية:

تتنوع مجالات البحوث التاريخية فقد تكون: شخصية من الشخصيات، جماعة من الجماعات، حركة تربوية معينة، فكرة تربوية، مؤسسة تربوية، علمًا بأنه لا يمكن دراسة أى موضوع فى عزلة عن الموضوعات الأخرى.

مثال: لا يمكن إجراء بحث تاريخى عن شخص ما دون النظر إلى إسهاماته فى الفكر التربوى.

إذن المنهج التاريخى لا يقتصر على الدراسات التاريخية فى علم التاريخ. وإنما يستخدم أيضًا بدرجات متفاوتة فى مجالات أخرى كالمجالات التربوية والنفسية، وفى مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من المجالات. فقد تناول بعض الباحثين بالفعل دراسات تاريخية فى هذه المجالات. فضلًا عن ذلك فإن الكثير من الدراسات فى المجالات المختلفة تخصص فى معظم الحالات فصلًا معينًا فى رسالة البحث للدراسات والأبحاث السابقة التى أجريت فى فترات ماضية، وترجع أهمية هذا إلى أن معرفة نتائج البحوث السابقة أمر له أهميته بالنسبة للمنشغلين فى هذه المجالات؛ لأنها تزودهم ببيانات ونتائج معينة تتصل بأفكار واتجاهات أو ممارسات معينة فى الماضى ترتبط بموضوعات بحوثهم فى هذه المجالات. ومثل هذه الدراسة لها طبيعة تاريخية ويمكن أن يخضعها الباحث للنقد والتحليل ويستفيد من ذلك فى اختيار موضوعات جديدة تمامًا لبحوثهم أو موضوعات تتصل بهذه النتائج وذات طبيعة تاريخية تطورية.

كما يرى البعض أن المنهج التاريخى يستخدم أيضًا فى دراسة العقائد الدينية، والأنماط السياسية والأفكار الفلسفية.

خطوات المنهج التاريخى:

يعتمد الباحث (الذى يتبع الأسلوب التاريخى فى بحثه) خطوات البحث العلمى فى دراسته للمشكلة والمتمثلة فى الخطوات الرئيسة التالية:

أولاً: اختيار موضوع البحث وتحديده:

يتم اختيار موضوع البحث التاريخى على ضوء معايير اختيار مشكلات البحوث مع الانتباه للأبعاد الجديدة التى تتعلق بالمكان والزمان الذى حدثت فيه الظاهرة أو تم فيه الحدث التاريخى. ونوع الأنشطة التى تضمنها، والأشخاص الذين تم تناولهم.

ثانيًا: إيضاح أهداف البحث وصياغة فروضه:

وبعد أن يتم تحديد موضوع البحث وتحديد الأنشطة المتعلقة به، فإنه على الباحث أن يحدد بدقة الأهداف التى ينبغى تحقيقها من خلال إجراء البحث حتى يكون على معرفة بالنقاط التى يجب التركيز عليها فى دراسته.

وفى هذه الأهداف التى تتم صياغتها يضع الباحث فروضًا محددة تركز على الاتجاه الذى يجب اتباعه لإنجاز بحثه. وبالتالى عن الوثائق والمعلومات التى تؤيد أو تلغى فروض البحث.

ثالثًا: جمع البيانات والمعلومات:

يقوم الباحث بجمع بياناته من مصادرها الأولية أو الثانوية حيث يستعرض آثار الإنسان العديدة المتنوعة التى تدل على الأحداث الماضية فى مجال بحثه، وينتقى منها الشواهد التى ترتبط بمشكلة بحثه، وعلى الباحث أن يكون قادرًا على التمييز بين نوعى المصادر المشار إليها (الأولية والثانوية) ويكون ماهرًا فى تحديدهما.

. تحديد مصادر المعلومات:

تتعدد مصادر المعلومات فى البحث التاريخى وتتلخص فيما يأتى:

الأول: المصادر الأولية (أساسية)

١ ـ الآثار:

تعتبر الآثار مصدرًا مهمًا من مصادر البحث التاريخى؛ لأن الآثار هى شواهد تاريخية باقية، إن دراسة طراز المبانى القديمة أو الأدوات القديمة أو الملابس القديمة ستكشف الكثير عن مظاهر الحياة فى تلك الفترة.

٢ ـ السجلات والوثائق:

يرجع الباحث إلى السجلات الرسمية المكتوبة والشفوية، فيدرس الوثائق والملفات والإحصاءات والقوانين والأنظمة التى كانت سائدة فى تلك الفترة الزمنية التى عاشت فيها الظاهرة موضوع البحث.

وتأخذ الوثائق أشكالًا متعددة ومن أهمها السجلات الشفهية والسجلات المكتوبة والسجلات المصورة والسجلات الميكانيكية والصوتية.

أ ـ السجلات الشفهية:

ومن أمثلتها الأساطير والحكم والأمثال والقصص والخرافات الشائعة والحكايات الشعبية، وما يحكى من أنواع الألعاب ورقصات الاحتفالات وذكريات شهود العيان عن أحداث وأشياء فى الماضى.

ب ـ السجلات المكتوبة ومن أمثلتها:

السجلات الشخصية: مثل كتابة اليوميات والسير الذاتية والخطابات، والوصايا والعقود والمسودات الأصلية للمحاضرات والخطب والمقالات والكتب.

ـ السجلات الرسمية:

مثل الدساتير والقوانين واللوائح والعهود والمواثيق والمعاهدات، أو لجان أو منظمات اجتماعية أو علمية أو مهنية معينة ومنها أيضًا المخطوطات الموجودة على

أوراق البردى أو على جلود الحيوانات، أو المنقوشة على الأحجار وتتضمن معلومات ومعانى قصد منها عند كتابتها أن تنتقل إلى الآخرين.

ـ السجلات المصورة:

ومن أمثلتها الرسوم والنحت والصور الفوتغرافية وصور الأفلام بأنواعها المختلفة. كما تشمل أيضًا صور طوابع البريد والنقود.

ـ السجلات الصوتية والميكانيكية:

ومن أمثلتها التسجيلات الصوتية على أنواع الأسطوانات وأشرطة التسجيل المختلفة.

٣ ـ شهود العيان:

يتصل الباحث بالأشخاص الذين شهدوا الظواهر الماضية ويحصل منهم على معلومات شفوية أو مكتوبة عن الظاهرة موضوع بحثه.

٤ ـ الدراسات السابقة:

تكشف الدراسات السابقة التى تمت فى الماضى وتناولت أحداث الفترة التى تتناولها مشكلة البحث موضوع الدراسة عن معلومات وبيانات مهمة فهى وثائق يمكن الرجوع إليها واستخلاص المعلومات التى تفيد الباحث فى معالجة مشكلة بحثه خاصة وأن بعض هذه الدراسات السابقة يمكن أن تكون قد اعتمدت على مصادر أولية مباشرة.

٥ ـ الكتابات الأدبية والأعمال الفنية:

يستطيع الباحث التاريخى أن يعتمد على بعض ما جاء فى الكتابات الأدبية والأعمال الفنية فى جميع المعلومات عن مشكلة بحثه، فهذه الكتابات قد تبرز الكثير من الحقائق والأحداث والمواقف المتصلة بموضوع البحث.

ولا بد من الإشارة إلى أن الآثار كمصدر أولى للمادة التاريخية لا تؤدى كثيرًا إلى الأخطاء إلا من حيث بيان صحة نسبتها إلى عصورها أو فتراتها التاريخية؛ لأنها تمثل أثرًا ماديًّا وهى بذلك تتكافأ مع مؤثر حقيقى فعلى، أما فى حالة الوثائق فاحتمال الأخطاء أكبر ورغم أنها مصادر أولية مادية إلا أنها غالبًا ما تعبر عن الآثار المتبقية فى نفسية إنسان عن واقعة أو حدث تاريخى معين، والإنسان كما نعلم يتأثر بعوامل كثيرة قد تعرضه للخطأ أو تدفعه إلى تحريف الحقيقة وتزييفها. ومن هنا فإن بحثها من جانب المؤرخ أو الباحث التاريخى يتطلب محاولة شاقة للكشف عن العوامل النفسية والإنسانية التى أثرت فيمن كتب هذه الوثائق أو السجلات.

الثانى: المصادر الثانوية

وتشمل هذه المصادر ما يرويه شخص معين من معلومات نقلًا عن شخص آخر شاهد فعلًا واقعة معينة فى الماضى أو شارك فيها، ويشهد له أيضًا بكفاية روايته. وواضح أن المصدر الثانوى يروى عن مصدر أولى، وأن الراوى الثانوى أو كاتب المصدر الثانوى لم يكن ماثلًا فى مشهد الواقعة، وإنما يروى أو يكتب ما قاله أو كتبه شخص آخر حضر فعلًا هذه الواقعة وتشمل المصادر الثانوية أيضًا المصادر التى تنقل على وجه العموم من مصادر أولية سواء كانت المصادر الثانوية أشخاصًا أو كتبًا ومراجع مكتوبة أو مطبوعة. فمعظم كتب التاريخ ودوائر المعارف يكتبها أشخاص بعيدين عن الرواية الأصلية والملاحظة المباشرة للوقائع التاريخية، وبالتالى فهى أمثلة لمصادر ثانوية. ورغم أن المصادر الثانوية عادة ما تكون محدودة القيمة بالنسبة للمصادر الأولية حيث إن احتمال الأخطاء فى المصادر الثانوية أكبر من انتقال البيانات من شخص لآخر وتكرار هذا النقل عن الآخرين أكثر من مرة، إلا أن المصدر الثانوى له وظيفته فى تزويد الباحث بمعلومات عن الظروف والآراء التى قيلت حول المصدر الأولى.. ومن المصادر الثانوية ما يأتى:

ـ الكتابات الأدبية والأعمال الفنية إذ يستطيع الباحث (الذى يتبع الأسلوب

التاريخى فى بحثه) الاعتماد على بعض ما جاء فى هذه الكتابات الأدبية والأعمال الفنية فى جمع المعلومات عن مشكلة بحثه. إن مثل هذه الكتابات قد تفرز الكثير من الحقائق والأحداث والمواقف المتصلة بموضوع البحث.

ـ القصص والأغانى والقصائد والأمثال والحكايات الشعبية المتناقلة شفويًا.

ـ الأعمال والألعاب والرقصات التى تنتقل من السلف إلى الخلف.

ـ التسجيلات الإذاعية والتليفزيونية والسنيمائية وأشرطة التسجيل الضوئى وأشرط الفيديو.

ـ النشرات والكتب والدوريات والرسومات التوضيحية والخرائط الهيكلية التى تحتفظ بها المكتبات والدوائر.

ويؤكد بعض العلماء على أن المصدر الواحد قد يكون أساسى وثانوى فى آن واحد، وذلك طبقًا للمعلومة المرادة، فإذا ذكر المؤلف ما يشير إلى مشاهدته للمعلومة أو مشاركته فيها فيعد مصدرًا أساسيًا لهذه المعلومة، وأما إذا نقل عن غيره معلومة معينة فهو فيها مصدرًا ثانويًا.

رابعًا: تقييم مصادر المعلومات:

يقوم الباحث بتقييم المعلومات المختلفة التى حصل عليها بواسطة نقدها والتأكد من مدى فائدتها لبحثه.

لقد تعرضت بيانات البحث التاريخى إلى نوعين من النقد للحكم على ملاءمتها للبحث:

ـ **نقد خارجى:** يتعلق بموثوقية المصدر أو الوثيقة الذى أخذت منها البيانات أو أصالتها. وعلى الباحث أن يتأكد من:

ـ هل كتبت الوثيقة بعد الحادث مباشرة أم بعد مرور فترة زمنية عليها؟

ـ هل هناك ما يشير إلى عدم موضوعية كاتب الوثيقة؟

ـ هل كان الكاتب فى صحة جسمية نفسية جيدة فى أثناء كتابة الوثيقة؟

ـ هل كانت الظروف التى تمت فيها كتابةالوثيقة تسمح بحرية الكتابة؟

ـ هل هناك تناقص فى محتويات الوثيقة؟

ـ هل تتفق الوثيقة فى معلوماتها مع وثائق أخرى صادقة؟

ـ **نقد داخلى**: يتعلق بدرجة الثقة والسلامة والمصداقية الخاصة بمحتوى المصدر أو الوثيقة. وعلى الباحث أن يتأكد من:

ـ هل تمت كتابة الوثيقة بخط صاحبها أم بخط شخص آخر؟

ـ هل تتحدث الوثيقة بلغة العصر الذى كتبت فيه؟ أم تتحدث بمفاهيم ولغة مختلفة؟

ـ هل كتبت الوثيقة على مواد مرتبطة بالعصر أم على ورق حديث؟

ـ هل هناك تغيير أو شطب أو إضافات فى الوثيقة؟

ـ هل تتحدث الوثيقة عن أشياء لم تكن معروفة فى ذلك العصر؟

ـ هل يعتبر المؤلف مؤهلًا للكتابة فى موضوع الوثيقة؟

خامسًا: تسجيل نتائج البحث وتفسيرها:

يبدأ الباحث مرحلته الأخيرة فى كتابة البحث، ومراجعة الدراسات والبحوث السابقة المتعلقة بموضوع البحث، وتوقعاته من البحث، ثم الفروض التى اعتمدها البحث والطريقة المستخدمة لاختبارها والنتائج التى توصل إليها، وتحليل وتفسير تلك النتائج. وغالبًا ما يتبع الباحث عند كتابة بحثه أسلوب عرض نتائجه ضمن ترتيب زمنى أو جغرافى أو موضوعى بما يتناسب وموضوع البحث الذى يقوم بإعداده.

سادسًا: تحليل المعلومات:

يهدف الباحث من جمعه لمصادر المعلومات ونقدها الحصول على المعلومات الصحيحة تأليفًا ومحتوى، ليستطيع من خلالها استخراج الأدلة والبراهين التى تجيب عن أسئلة البحث أو تختبر فروضه، وأهم خطوات تحليل المعلومات هى:

ـ تبويب المعلومات بطريقة يختارها الباحث كأن يكون التبويب بناء على فترة زمنية معينة.

ـ تفريغ المعلومات، أى وضع كل معلومة فى قالبها التبويبى الذى اختاره لها.

ـ تحليل المعلومات باستخراج الأدلة التى تبرهن على الإجابة العلمية عن كل سؤال من أسئلة البحث.

ـ تفسير المعلومات بالإجابة عن أسئلة البحث، وتقرير قبول فروضه أو عدم قبولها.

سابعًا: ملخص البحث وعرض النتائج والتوصيات:

وتتلخص فى جمع أطراف موضوع البحث وإبرازه بشكل متكامل.

وقد ذكر بعض العلماء خطوات المنهج التاريخى كما يلى:

١ ـ التمهيد للمشكلة محل الدراسة.

٢ ـ لا بد من صياغة الفروض بصياغة مبدئية تفسر وقوع الأحداث والأحوال بصورة منظمة ومرتبة منطقيًّا وليس مجرد معلومات غير مترابطة وذلك حتى يكون للعمل قيمة.

٣ ـ قد تكون الفروض (وسيلة) يجمع بها الباحث المعلومات ويستنتج الأدلة والبراهين، وقد تكون الفروض (غاية) بمعنى أن الهدف الأساسى من البحث يمكن فى تكوين خلفية علمية متكاملة تؤهل لفرض فروض علمية يمكن التأكد من صحتها ببحوث تالية.

٤ ـ مراجعة الدراسات السابقة.

٥ ـ تصميم البحث وتحديد خطواته الإجرائية وتشمل:

ـ جمع المصادر الأساسية الموجودة سواء أكانت مكتوبة أو مصورة أو مجسمة أو مسجلة أو شفهية... إلخ.

ـ استبعاد جميع المصادر ـ أو بعض معلوماتها ـ غير الصحيحة.

ـ الاقتصار على المعقول من المصادر الرئيسة.

ـ تنظيم وإخراج الأدلة الثابتة فى عرض علمى مناسب.

ـ يجب تحديد مصادر البحث وهى:

أولية: Primary Sources

لم تعتمد فى نقلها للمعلومة على مصادر أخرى سبقتها وهى أنواع: الوثائق والسجلات التى حفظت وكتبت من قبل شخص مشارك فى وقائعها، الحفريات أو الآثار المرتبطة بشخص معين فى فترة زمنية محددة مثل الأدوات الأثاث، المبانى،.....، الأدلة الشفهية من مشارك فيها أو مشاهد لها وهذه يمكن الحصول عليها بواسطة المقابلة الشخصية لمن شارك فى الظاهرة.

المصادر الثانوية: Secondary Sources

وهى عبارة عن مصادر ثانية للمعلومة، ومن أمثلتها: الكتب المجمعة أو المحررة، الكتب المؤلفة اعتمادًا على المراجع، أخبار الصحف والمجلات، دوائر المعارف.

مقارنة بين المصادر الأساسية والثانوية:

هناك فرق فى القيمة العلمية للمعلومة المستقاة من مصدر أساسى والمعلومة المستقاة من مصدر ثانوى.

ـ بعض المصادر الثانوية أكثر قيمة علمية من مصادر ثانوية أخرى، حيث تكون المعلومة نقلت من المصدرالأساسى نفسه وليس من مصدر ثانوى قد يكون المصدر أساسى وثانوى فى وقت واحد، وذلك طبقًا للمعلومة المرادة.

نقد مصادر البحث:

وهو ما يمكن أن يستنتجه الباحث من المعلومات التاريخية من خلال عمليتى

نقد يتعين عليه تطبيقها على ما يتوافر لديه من مصادر أساسية أو ثانوية ويسمى (البرهان التاريخى).

١. النقد الخارجى:

وهو ما يوجهه الباحث لمظهر المصدر الأساسى وثيقة أم حفرية من حيث هو أصل أم مفتعل، صحيح أم مزيف.

أى يهدف إلى التحقق من صحة الوثائق من حيث انتسابها إلى صاحبها وإلى العصر الذى نسبت إليه.

وينقسم إلى قسمين هما:

أ ـ نقد التصحيح: ويهدف نقد التصحيح إلى التحقق من مدى صحة الوثيقة وصحة نسبتها إلى صاحبها، وللوثائق ثلاث حالات هى:

أولًا: أن تكون الوثيقة نسخة بخطج الؤلف وهنا يمكن دراسة الوثيقة الأصلية مباشرة أو صورة منها.

ثانيًا: أن لا تكون مكتوبة بخط المؤلف الأصلى إنما مخطوطة بخط شخص آخر وفى نفس الوقت لا يوجد منها سوى نسخة واحدة، وفى هذه الحالة قد تكون بالنسخة أخطاء فى الكتابة أو فى الحكم لجهل الناسخ.

ثالثًا: أن يوجد لدينا أكثر من وثيقة أو مخطوطة وفى هذه الحالة لا بد من دراسة أصل هذه المخطوطات ليتبين ما يرجع منها إلى أصل واحد.

ب ـ نقد المصدر: لا يكفى فى النقد أن تكون لدينا وثيقة صحيحة كما كتبها أصحابها، وإنما ينبغى أن نعرف مصدرها ومؤلفها وزمانها؛ لأنه قد تنسب الوثيقة لغير واضعها بهدف الدفاع عن مذهب أو فكر معين ثم ينسبه لشخصية عظيمة ليعزز فكره وآراءه، وتمييز المنتحل من الصحيح أمر عسير، وللتحقق من صحة المصدر عدد من القواعد منها:

- دراسة الخط الذى كتب به؛ لأن الخط العربى اختلف باختلاف العصور.
- فحص الوثائق التى ورد ذكرها فى الوثيقة.
- معرفة المصادر التى استندت إليها الوثيقة.
- استقصاء وفحص اقتباسات المؤلفين الآخرين من هذه الوثيقة.

٢. النقد الداخلى:

يهتم النقد الداخلى بالتحقق من معنى وصدق المادة الموجودة فى الوثيقة، ويتطلب هذا أن يلم الباحث إلمامًا جيدًا بلغة كاتب الوثيقة ولغة العصر الذى عاشه وكتب فيه الوثيقة، ومعرفة كافية بالظروف الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية والجغرافية التى كانت تحيط بكاتب الوثيقة، وكذلك معرفته بالظروف العائلية والشخصية التى عاشها.

ولتسهيل دراسة وفهم النقد الداخلى يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين هما:

أ ـ النقد الداخلى الإيجابى: ويهدف إلى تحديد المعنى الحقيقى للنص كما يقصده المؤلف مع المعنى الحرفى للنص من الناحية اللغوية.

ب ـ النقد الداخلى السلبى: يهتم النقد الداخلى السلبى بقيمة الوثيقة من حيث أنها تدل فعلًا على الواقعة، وهل أصاب المؤلف فى هذه المشاهد أم أخطأ؟ وإلى أى مدى يمكن التعبير عنها بدقة وأمانة؟ وذلك لمعرفة مدى نزاهة ودقة مؤلف الوثيقة، وبالتالى مدى الصدق أو الخطأ أو التحريف أو التزييف فيما كتبه.

بعض الأخطاء العامة التى يقع فيها الباحثون فى البحث التاريخى:

أشار بعض الباحثين الذين يستخدمون المنهج التاريخى فى البحث إلى عدد من الأخطاء التى قد يقعون بها والمتمثلة فى الآتى:

ـ اختيار ظاهرة لا تتوافر عنها دلائل ومعلومات كافية تستدعى إجراء الدراسة عليها.

ـ الاستخدام الزائد لمصادر المعلومات الثانوية فى البحوث التى لا تعالج الأحداث المعاصرة على حساب المصادر الأولية.

ـ محاولة إجراء البحث دون تحديد المشكلة بشكل واضح ومحدد.

ـ الفشل فى تقييم المعلومات التاريخية بشكل وافٍ، والاكتفاء بمجرد سرد الأحداث والوقائع دون تحليلها وفهمها والتعمق فى مغزاها.

ـ التحيز الشخصى فى تفسير الأحداث والوقائع بانتقاء الشواهد المثبتة لرأى معين، أو باختيار بعض الجمل أو العبارات ونزعها من سياقها لتأخذ معنىً جديدًا.. مما يؤثر على الحقائق التى يتم التوصل إليها بدقة ويؤدى إلى الخروج بتعميمات خارجة عن موضوع البحث.

ـ المبالغة فى عرض المعلومة وتفسيرها من جانب واحد وإهمال باقى الجوانب.

تقويم المنهج التاريخى:

أشار الباحثون إلى ضعف المنهج التاريخى لعدم اعتماده على التجربة بمفهومها العلمى، ولصعوبة تعميم نتائجه، ولاعتماده على المصادر غير المباشرة لجمع المعلومات مثل الآثار والسجلات. إضافة إلى تعقيد المادة التاريخية وصعوبة صياغة فروض خاصة بها، أو التحقق منها. وأخيرًا فالمادة التاريخية لا تخضع للتجريب. وعليه، فإنه يصعب إثبات الفرضيات وتحقيقها تجريبيًا، فالمصادر التاريخية عرضة للخطأ ولا بد من اعتماد ملاحظات الآخرين وأقوالهم.

ومع كل هذه الانتقادات التى وجهت لهذا الأسلوب فى البحث فإننا غير قادرين على التقليل من أهمية الأسلوب التاريخى كأسلوب علمى فى البحث فهو كغيره من أساليب البحث المتعارف عليها بين الباحثين يعتمد المعرفة الجزئية فى البحث، مما شجع العديد من الباحثين على اعتباره أسلوبًا علميًّا استنادًا على الأسس التالية:

ـ يعتمد البحث التاريخى على المنهج العلمى فى البحث، بمدخلاته وعملياته ومخرجاته وضوابطه التقييمية، وبدءًا من شعور الباحث بمشكلة البحث وتحديدها وصياغة فروضها المناسبة وجمع البيانات والوصول إلى النتائج والتعميمات.

ـ ورجوع الباحث إلى الأدلة غير المباشرة من خلال رجوعه إلى مصادره الأولية والثانوية لا يعتبر نقطة ضعف فى البحث التاريخى إذا أخضع الباحث معلوماته وبياناته للنقد والتحليل والتمحيص.

مميزات وعيوب المنهج التاريخى:

للمنهج التاريخى مميزات عدة وكذلك يكتنفه بعض العيوب ولكن نظرًا لأن المنهج التاريخى يرتبط بظاهرة حدثت فى الماضى ويقوم فيه الباحث على تحليل مصادر مدونة أصلًا من قبل أناس سبقوه مما يجعل المعلومة التاريخة عرضه للتفسير الذاتى من أطراف عدة:

المدون الأول: ليس هناك سبيل للجزم بعدم تحيز المدون الأول للمعلومات.

الباحث: الذى قد يتحيز ولو بصورة غير مباشرة كأن يكون انتقائه للمصادر مقصورًا على المصادر التى تؤكد ما يراه ويعتقده.

التحليل الكيفى للمعلومات: ليس بالمقياس العلمى الدقيق.

مميزات المنهج التاريخى:

لا تتوقف الدراسة التاريخية عند حدود الماضى بل تتابع دراسة الظاهرة حتى تتوصل إلى دلالات تساهم فى فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، وتتضح مميزات الدراسات التاريخية فيما يلى:

١ ـ تساعد على الكشف عن الأصول الحقيقية للنظريات والمبادئ العلمية وظروف نشأة هذه النظريات، وهذا يساعد فى إيجاد الروابط بين الظواهر الحالية والظواهر الماضية ورد الظواهر الحالية إلى أصولها التاريخية.

٢ ـ تساعد الدراسات التاريخية فى الكشف عن المشكلات التى واجهها الإنسان فى الماضى وأساليبه فى التغلب عليها والعوائق التى حالت دون إيجاد حلول لها.

٣ ـ تساعد الدراسات والأبحاث التاريخية على تحديد العلاقة بين الظواهر أو المشكلة وبين البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى أدت إلى نشوئها.

٤ ـ ويمتاز المنهج التاريخى عن غيره أيضًا بأنه يضع أمام الباحث جميع الخبرات والتجارب السابقة، والتى من خلالها يمكن الوقوف على الظاهرة محل الدراسة.

ويمكن تجاوز نواحى القصور والتحيز من خلال تحرى الدقة وإبراز الأدلة واتباع المنهج العلمى والابتعاد عن التحيز فى التحليل وفى استنتاج الأدلة والبراهين.

عيوب المنهج التاريخى:

للمنهج التاريخ مميزات عدة وله أيضًا بعض العيوب، شأنه فى ذلك شأن أى منهج بحثى يطبق فى دراسة الظاهرة الإنسانية وهى:

١ ـ المعرفة التاريخية معرفة جزئية بحكم طبيعتها حيث لا يمكن الحصول على معرفة كاملة للماضى وذلك بسبب طبيعة مصادر المعرفة التاريخية وتعرضها للتلف والتزوير. وبذلك تبقى المعرفة التاريخية معرفة جزئية.

٢ ـ يواجه الباحثون الذين يستخدمون الأسلوب التاريخى صعوبة واضحة فى تطبيق المنهج العلمى فى البحث، وذلك بسبب طبيعة الظاهرة التاريخية وطبيعة مصادرها وصعوبة إخضاعها للتجريب وصعوبة وضع الفروض، وصعوبة التنبؤ بالمستقبل.

٣ ـ المادة التاريخية أكثر تعقيدًا من المعلومات والمعارف فى مجالات الحياة الأخرى، وبذلك يصعب على الباحث وضع فروض معينة واختبار هذه الفروض؛ لأن علاقة السبب بالنتيجة فى تحديد الحوادث التاريخية ليست علاقة بسيطة، فالأسباب متشابكة ويصعب رد النتيجة إلى أحدها.

٤ ـ لا تخضع المادة التاريخية للتجريب، وبذلك يصعب إثبات الفروض وتحقيقها

تجريبيًّا، فالمصادر التاريخية عرضة للخطأ ولا بد من اعتماد ملاحظات الآخرين وأقوالهم؛ لأن الباحث لا يتمكن من الاتصال المباشر بالمادة التاريخية.

٥ ـ يصعب الوصول إلى نتائج تصلح للتعليم فى الأبحاث التاريخية وذلك لارتباط الظاهرة التاريخية بظروف زمانية ومكانية محددة يصعب تكرارها بنفس الدرجة وكل ما يستطيع الباحث التاريخى عمله هو أن يتنبأ بما يمكن أو يحتمل أن يحدث لا بما سيحدث فعلا.

٦ ـ المنهج التاريخى يقوم على تحليل الباحث لمصادر حدوثه من قبل أناس سبقوه، وهذا يجعل المعلومة التاريخية عرضة للتفسير الذاتى والتحيز.

وقد أشار الباحثون إلى ضعف المنهج التاريخى فى مواجهة البحث العلمى الذى يتميز بالصدق والموضوعية والثبات والدقة معتمدين فى ذلك على ما يلى:

١ ـ يصعب فى البحث التاريخى القيام بالتنبؤ والتحكم، نظرًا لصعوبة الوصول من خلالها إلى تعميمات نستنتج منها أحداث المستقبل.

٢ ـ أن الموضوعية فى البحوث التاريخية أمر مشكوك فيه لاعتماد الباحثين فيها على شهادة أفراد أو ملاحظات لأفراد قد يشك فى نزاهتهم.

٣ ـ عدم اكتمال الدليل التاريخى واحتوائه على بعض الثغرات، وهذا يحتم على الباحث أن يقوم بسد الثغرات عن طريق القيام ببعض الاستنتاجات مما يقلل من الثقة بهذا الدليل لكثرة ما به من تخمينات.

٤ ـ أن الأحداث التاريخية فريدة ويجب إخضاعها فى صورة مواقف تجريبية فكيف للمرء أن يتحقق من صدق ما يقول الكاتب أو المؤلف.